بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(24) صنائع المعروف تقي مصارع السوء

وتُنجي الأفراد والأُسر والأمم والحضارات

راجع ذلك مفصلا: د/ أحمد علي سليمان: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟، القاهرة، دار إشراقة، 1446هـ / 2024م، ص 215–221

بقلم الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

كتب لحضراتكم من جاكرتا:

يقول الحقُّ تباركَ وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (الحشر: 18)، ويقول تعالى: (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الحج:77)، وقال عزَّ وجلّ: (فمَن يعمل مثقالَ ذرَّة خيرًا يرَه) (الزلزلة:7)، وقال سبحانَه: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة:195)، ولقد وصفَ اللهُ تعالى المؤمنين والذين يصنعونَ الخيرَ والمعروفَ في هذه الحياةِ بقوله: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) (الإنسان:7 – 10).

وعن أنسِ بنِ مالك (رضي اللهُ عنه) أنَّ رَسُول الله (صلَّى اللهُ عليه وسلم)، قال: (صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ)[1]، وصنائعُ جمعُ صَنيعَة، والمعروفُ ما تَعارفَ الناسُ على حُسنِه وجَمالِه وجَلالِه، وهو ما عُرف حسنُه في الشَّرع الشريف، و"تقي مصارع السوء" أي: تدفعُ عن فاعلِها كلَّ مَصرعٍ لا يحبُّه، وقيلَ بأنها تدفعُ عنِ الإنسان سوءَ الخاتمة؛ نجّانا اللهُ وإياكم من ذلك، ورزَقَنا حُسنَ الخاتمة.

أما ما يُصيب المسلم أحيانًا من حوادثَ أليمةٍ كإصابتِه في حادثٍ ونحوه، فقد يكون ذلك:

(1) أخرجه الإمام السيوطي في الجامع الصغير– صحيح.

- تَكفيرًا لخطاياه؛ فعنْ أبي هريرة (رضي اللهُ عنه) أنَّ رَسُول الله (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) قال: (ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ)[2].
- وقد يكون- كما قالَ العلماء- رَفْعًا لدَرَجاته.
- أو نوعًا من أنواع الشَّهادة.

ويختلفُ ذلك باختلافِ أحوال النَّاس وأعمالهم، فما يُصيب المؤمنَ من البلاءِ هو خيرٌ في جميع الأحوال، حتى الشَّوكةَ يُشاكُها. فاللهَ جعَل الابتلاءاتِ كفَّاراتٍ لذُنوبِ المُؤمنِ ورِفْعَةً لدَرجاتِه، وهذا الحديثُ تَسليةٌ للمؤمنِ فيما يُصِيبُهُ مِن مَصائبِ الدُّنيا، ومِن الأمراضِ والأوجاعِ؛ فكلُّ ما يُصيبُ المؤمنَ خَيرٌ له.

وصنائعُ المعروف هي مَفاتيحُ الخير للمُسلم، ومَفاتيحُ الخيريَّة للأمَّة، وهي صدقةٌ على النَّفس وعلى الغَير، وهي شكرٌ للمُنعم على إنعامِه، وهي صدقةٌ عن المَواهب والعطايا.

وإنَّ حَضارتنا الإسلامية سبّاقةٌ إلى الرَّحمة وصناعةِ الخير في كلِّ مكانٍ وزمان وحال، وقد زَكَّى اللهُ- سبحانه وتعالى- أمَّتَنا الإسلامية بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(آل عمران: 110).

ونَفهمُ من الآية الكريمةِ أنَّ خَيريةَ الأمَّة وخَيرية المسلمين، وخَيرية كلِّ فردٍ من أفراد الأمَّة؛ تكمُنُ في الإيمان بالله، الذي هو أساسُ كلِّ خير، وفي بَذل الوسْع في الأمْر بالمعروفِ وفِعلِه، والنَّهي عن المنكرِ واجْتنابِه؛ لتكون صناعةُ المعروف عامَّةً وشاملةً وكاملة، تَستغرقُ كلَّ مَجالات الحياة وشتَّى مُكوِّناتها، فتَشمل الإنسان- الرجلَ والمرأة، والطفلَ والشيخ، والأبيضَ والأسود، والمسلمَ وغير المسلم، والعربيَّ والأعْجمي-، ومن ثمَّ تشملُ الإنسان، والحيوان، والطَّير، والنبات، وحتَّى الجماد؛ بل إنها تَشملُ الأحياء والأمواتَ على حدٍّ سواء.

وهكذا فحيثُما تكونُ المصلحة- مصلحةُ الإنسان ومصلحةُ الأديان، ومصلحةُ الأوطان، ومصلحةُ الإنسانية- فثمَّ شرعُ الله.

وبلادُنا العظيمة أبدعتْ في صناعةِ الخير عبرَ تاريخها المديد المجيدِ، ولا تزال؛ فقد علَّمتِ العالَمَ العلومَ والفنونَ والآداب، ونَشرتِ الخيرَ في كلِّ مكان، وتقوم دومًا بحملاتٍ إغاثية ومَكُّوكية لأشقّائنا المكروبين، وتُصدِّر للعالم كلِّه العلمَ النافع، والتَّسامح، والإيمان.. والسلامَ والوئامَ في كلِّ مكانٍ عبرَ سائر مؤسَّساتها.

إنَّ صنائعَ المعروف لها فضلٌ عظيم ونفْعٌ عَميم في الدُّنيا والآخرة، فهي مِن مقوِّمات النَّجاح في الدنيا، والنجاة في الآخرة. ولمّا نزلَ الوحيُ على سيدِنا رسول الله (صلَّى اللهُ عليه وسلم) دخلَ عَلَى السيدة خَدِيجَةَ (رضي اللهُ عنها وأرضاها)، فَقَالَ: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي)، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، فَقَالَتْ

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

خَدِيجَةُ: "أبشر؛ فواللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا"، لماذا؟ هنا تأتي مقوماتُ النَّجاة.. "إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتصدق الحديث، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ"(3).

وهكذا لخَّصتِ السيدةُ خديجة بأقوالِها الخالدة عددًا من صَنائع المعروفِ التي تقي مَصارعَ السوء.

قصصٌ وشَواهد:

كان القصصُ النبويُّ من هدْيه (صلَّى اللهُ عليه وسلم) في بعض الأحيانِ حتَّى يوصِّل لأصحابِه غرضَه وهدْيَه بأسلوبٍ مغلَّف كريم؛ ومن ذلك قصصُ أقوامٍ صَنَعوا المعروفَ– الذي يبدو في نَظرِنا صغيرًا– بينما هو عند الله كبيرًا؛ فكان جزاؤهم عند الله كبيرًا:

ومِن هؤلاء رجلٌ أزال الأذَى عنِ الطريق، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ.

ومِن هؤلاء رجلٌ رأى كلبًا يلهثُ– أي: يأكل الثَّرى من العطش– فنزلَ البئرَ وحملَ الماءَ في خفِّه، وسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ.

ومِن هؤلاء رجلٌ سَمْحٌ كان يُداين الناسَ، ويَصبرُ عليهم في سدادِ الديون، ويَتَسامح معهم، فتجاوزَ اللهُ عنه.

صورُ صَنائعِ المعروف:

أنواعُ المعروفِ كثيرة وسُبُلُه متنوّعة، ومِن صور صَنائع المعروفِ التي يحبُّها الله، ويحبُّها رسولُ الله: برُّ الوالدين، وصِلةُ الأرحام، وإكرامُ الزوجة، وبذلُ الصَّدقة، ومساعدةُ الضُّعفاء، وبذلُ القَرضِ الحسَن، وإنْظارُ المعسِر حتَّى يُيسِّر اللهُ له، وتَفريجُ الكروب، وتأمينُ الخائفين، وجبرُ الخواطر، والإحسانُ إلى الجار، والعطفُ على الفقراء، ورعايةُ اليتامي، وعيادةُ المريض، وحفرُ الآبار، وزراعةُ الأشجار المثمِرة وأشجارِ الظلّ في الصحراء، وتَعبيدُ الطُّرق، وإماطةُ الأذى عن طريقِ الناس والمخلوقات، وبناءُ المدارس والمساجد والمشافي، وكفالةُ الأرامل والمساكين، ورعايةُ اليتامى، والأمرُ بالخير، والإمساكُ عنِ الشَّر، والإسهامُ في علاج المرضى الفقراء، وتعليمُ الجاهل، والإحسانُ إلى الوافدين والسائحين والزوار وأبناء السبيل، وإرشادُ الحائر، وهدايةُ الضال، ونُصرةُ المظلوم، وكفُّ الظالم عن ظلمه، وإغاثةُ الملهوف، وإقامةُ العدل بين الناس، والإصلاحُ بين المتخاصمين، والكلمةُ الطيبة، وزيارةُ القبور، وإعانةُ الرجل للركوب على دابَّته أو مساعدته في رفع الأحمال عليها، ويقاسُ عليها مساعدتُه في إصلاح وسائل السَّفر التي تَتعطَّل على الطريق، ومراعاةُ مشاعر الناس، والتخفيفُ عمَّن ولّاكَ الله أمرَهم في عملك أو بيتك وعدمُ تَحميلهم ما لا يطيقون، وتبسُّمُك في وجه أخيك، وإطعامُ الجائع.

وهنا، أشيدُ بتَجربة بعضِ المطاعم المحترمة التي تقدِّم الوجباتِ اليوميَّة لغير القادرين مجانًا، وأدعو إلى التوسُّع في مثل هذه التجربة في شتى مجالاتِ الحياة، لا سيَّما في قطاع الصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية، والأسواق والمتاجر وغيرها، كأنْ يقوم كلُّ طبيبٍ مثلًا بالكشف على عددٍ من الفقراء يوميًّا أو أسبوعيًّا مجانًا، وهكذا..

(3) متفق عليه.

ومنها شكرُ المنْعِم على إنعامِه، ونَجدةُ المظلومين، وقَمعُ الباغين، والحفاظُ على ثُغور الوطنِ وحدودِه، والدِّفاعُ عن قضاياه ومُكتَسَباته، والحفاظُ على المال العام والخاص.

وكذا الرفقُ بالحيوان وعدمُ تَحميله ما لا يطيق، ومراعاةُ مشاعرِه، وقد دعا النبيُّ الكريم إلى الإحسانِ بالحيوان وأكَّدَ على عدمِ إرهاقه أو الإساءةِ إليه، وعلَّم أصحابَه الكرام أنهم إذا نَزلوا من على الدَّواب في السفر، ألّا يَنشغلوا بالصلاةِ حتى يُنْزِلوا الرِّحالَ والأحمالَ مِن على ظهور الدَّواب، وعلَّمهم أنهم حين يَسيرونَ بالدَّواب في طريقٍ خصبٍ بالنَّباتات التي أنبتَها اللهُ للحيوانات والدواب؛ فلا يُسرعوا حتى تأخذَ الدابَّة حقَّها وكفايتَها من الطعام، وحين يَسيرون في طريقٍ مُجدبَة لا تجدُ فيها الدابة ما تتغذَّى عليه؛ فعليهم أن يُسْرِعوا في المسيرِ حتى لا تجوعَ الدَّواب، وحتى يَصلوا إلى أماكن أخرى للطعام!. ودعا عندَ حَلب البهيمة أنْ نتركَ في ضرْعِها من اللبنِ ما يكفي لإشباع ولدِها الرَّضيع؛ مراعاةً منه (صلَّى اللهُ عليه وسلَّم) لمشاعرِ الأمِّ وصَغيرها، وجبرًا لخاطرهما– ما أشرْنا إلى ذلك بالتفصيل–.

إنَّها– أيها السّادة– صنائعُ المعروف، التي لا يعرفُها إلا الكبارُ الكرام.

إنَّها الأخلاقُ النَّبوية والرُّشدُ الحضاري الذي أرْساه مُعلمُ البشرية الذي جاءَ بالخير والخيرية لإصلاح الكون وإسعادِ الحياة.

نَصيحة:

وفي هذا المقام أنصحُ نَفسي– وإياكم– بما يلي:

- أن نُكثرَ من صَنائع المعروف في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ مجالٍ وفي كلِّ حال، لتُصبحَ منهجَ حياةٍ لنا ولأولادنا، ومن ثمَّ جُموعِ المسلمين.
- وأن نقصدَ بصَنائع المعروف وجهَ الله (عزَّ وجلّ).
- وأن نتَّبعَ سنةَ المصطفى (صلَّى اللهُ عليه وسلم) وهديَه ومنهجَه على الدَّوام.
- وعلى الإنسانِ ألّا يَحتقرَ من المعروف شيئًا، ولو كان عملًا يَسيرًا؛ فرُبَّ عملٍ صغير تعظِّمه النيَّةُ الخالصة.
- وعلينا أن نُسارعَ في الاستجابة لمساعدةِ الضعفاء والمكروبين، وننفِّسَ عنهم بنَفْسٍ راضية، فاللهُ في عَون العبدِ مادامَ العبدُ في عَوْن أخيه.
- وأن نَسعَى لنَيل مَحبَّة الله، فإنَّ أحبَّ الناس إلى الله أنفعُهم للناس.
- وأن نَفرَح ونَسعَد ونَحمَد الله الكريمَ أن جعلنا مِن جابري الخواطِر، ومِن صانعي المعروف.

• نقطةٌ مهمَّة أحبُّ أن أؤكدَها، وهي أنَّ صنائعَ المعروف يجب أن تَسودَ في بيوتِنا ومعَ أهلنا وأقاربِنا وجيرانِنا، كما تسودُ مع الناس، فبعضُ الناس تجدُهم في بيوتِهم كأبي سفيان في شُحِّه، ومع باقي الناس كحاتمٍ الطائيِّ في جودِه وكرمِه، مُتناسينَ حديثَ النبيِّ الكريم: (خَيْرُكم خَيْرُكم لِأَهْلِه، وأَنا خَيْرُكم لِأَهْلي)[4].

• أن نصنعَ المعروفَ ونَبرعَ في إتقانِه وتجويدِه، حتى ننالَ البرَّ ورضا الله، ونَنعَمَ بالسَّعادتين، وبالنَّظر إلى وجهِ الله الكريم، قال تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (آل عمران: 92).

• ولما كان الشيءُ بالشيءِ يُذكَر؛ يجبُ على التُّجار– ومَن على شاكلتهم– أن يُقلِّلوا من هامشِ أرباحهم وقتَ الشدائد والملمّات والأزمات، فذلك بابٌ عظيمٌ من أبواب صَنائع المعروف.

ثمراتُ صَنائع المَعروف:

كثيرًا ما نَسمعُ عبارة: (قدَّر ولَطَف) عندما يتعرَّض البعضُ لأمرٍ خطير ويُنجّيه اللهُ منه، ذلك أنَّ صنائعَ المعروف ردَّت إليهم لُطفًا وكرمًا وتَخفيفًا، فمَن تعرَّف على الله في الرَّخاءِ نالتْه رحماتُ الله في الشدَّة. إنَّها صنائعُ المعروف يُنجّيهم اللهُ بها من الغَرق والحَرق والتردّي والهدْم، وغيرها من الحوادث والكوارث.

"وكم مِن إنسانٍ أشرفَ على الهلاك فنجّاه اللهُ منه بسببِ ما قدَّم من عمل صالحٍ وعلمٍ نافع"[5].

"وكم من مُسلمٍ نجّاه اللهُ من مواقفَ عَصيبة، وشدادَ كَئيبة؛ بسبب فعلِه للخير. وكم من مُسلم حفظَ اللهُ عليه مالَه من الضَّياع والسرقة والتَّلفِ بسبب إحسانِه. وكم من مُسلم كشفَ اللهُ عنه ضرَّه، وعافاه من مرضِه بسببِ مَعروفه للناس. وكم من مُسلم حفظَ اللهُ عليه أولادَه وأهلَه من المهلكاتِ بسبب نفعِه للناس"[6].

إنَّ أعمارَنا قصيرة، فيجبُ أن نَستثمرَها في صناعة الخير، وفي الإبداع في العطاء، وفي إسعادِ الناس والمخلوقات، وفي أدائنا الحضاريِّ المتميز؛ قبلَ أن يَنتهي العمر، فكلُّنا سنموت.. فاعلمْ أنَّ سهمَ الموتِ قد أُطلِقَ عليك، وعُمرُك هو مقدارُ سَفر السَّهم إليك، فهيّا بنا نُسارع في صنائع المعروف، فأهلُ المعروف في الدنيا هُم أهلُ المعروف في الآخرة، وأهلُ الإحسان في الدنيا هم أهلُ الجزاء الحسَن في الآخرة، وأهلُ الرحمة في الدنيا هُم من الذين سيَرحَمهم اللهُ يوم القيامة.

اللهمَّ اجْعَلنا منهم، ومَعهم، وفيهم؛ برَحْمتِك يا ربَّ العالمين.

***

---

(4) أخرجه الشوكاني في فتح القدير– صحيح.

(5) د/ عبد الله بن عبد الرحمن الشثري: صنائع المعروف تقي مصارع السوء.
.aspx2014-2-12_18https://units.imamu.edu.sa/vrectorate/VR/News/Pages/news

(6) الشيخ الدكتور/ عبد الله بن محمد الطيار: صنائع المعروف تقي مصارع السوء. khutabaa.com/ar/article تاريخ النشر – 2022-10-11 1444/03/15.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا الصِّيَامَ وَالقِيَامَ وَصَالِحَ الأَعْمَالِ يَا رَبَّ العَالَمِينَ... اللَّهُمَّ أَدْخِلْ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَهْلِيكُمْ وَأَنْجَالِكُمْ وَأَحْفَادِكُمْ وَذَرَارِيكُمْ أَجْمَعِينَ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ وَالحُبُورَ، وَالسَّعَادَةَ العَامَّةَ التَّامَّةَ الكَامِلَةَ الشَّامِلَةَ الدَّائِمَةَ المُسْتَقِرَّةَ المُسْتَمِرَّةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ... نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ لَنَا وَلِأَوْلَادِنَا، وَلِمُجْتَمَعِنَا وَلِشَعْبِنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ مِصْرَ شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا، شِمَالَهَا وَجَنوبَهَا، طُولَهَا وَعَرْضَهَا وَعُمْقَهَا، بِحارَهَا وَسَمَاءَهَا وَنِيلَهَا، وَوَفِّقْ يا رَبَّنَا قِيادَتَهَا وَجَيْشَهَا وَأَمْنَهَا وَأَزْهَرَهَا الشَّرِيفَ، وَعُلَمَاءَهَا، وَاحْفَظْ شَعْبَهَا، وَبِلادَ المُحِبِّينَ يا رَبَّ العالَمِينَ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبارِكْ على سَيِّدِنا وَمَوْلانا مُحَمَّدٍ، وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

خادم الجناب النبوي

خادم الدعوة والدعاة د/ أحمد علي

سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

واتس آب: **01122225115** بريد إلكتروني:

drsoliman55555@gmail.com

متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها: (الدكتور أحمد علي سليمان)؛ يضمن لك كل جديد https: //www.facebook.com/drahmedalisoliman/